كلمـــة العـــدد :

ذكـــرى الشهداء

فرحة على الأرض وأعياد في السماء

بقلم : محمد الرزقي

تعيش تونس هذه الأيام، نشوة الاحتفال بذكرى الشهداء، فتنتعش الذاكرة الوطنية، مسترجعة أمجاد هؤلاء الشرفاء، لكن كيف يمكن أن يقترن الفرح بمعاني الموت والفناء، فما جرت به عادة البشر أن يحزنوا ويداهمهم البكاء، كلما تذكروا عزيزا عليهم فارق الحياة .

ومن هنا يبدأ تفرد الشهداء ، باعتبار أنهم ليسوا أمواتا بل أحياء، بشهادة الواقع، والخبر القادم من السماء، إذ يقول تعالى : " ولا تحسبنّ الذين قتلـــوا في سبيل الله أمـــواتا بل أحيـــاء عند ربهم يرزقـــون" (آل عمران : 169) فأنّى لشخص يكون في حوار المولى ، ولا يبتهج لهذا اللقاء، وكيف لا نفرح لفرحهم بعدما حازوا كل هذا الهناء، فيتحول الشهداء إلى أولياء مكرمين في الأرض والسماء.

أما السبب الثاني الذي يدعونا للفرح، أن الفرح هو دين معلق بعاتق كل تونسي لهؤلاء الشهداء، الذين منحونا حق الحياة، فيجب علينا إظهار البشر والفرحة في هذا اليوم، وفي كلّ أيام السنة، حتى يحسبوا أن جهودهم ذهبت سدى، واقل مظاهر الفرحة أن نزرعهم نحو ما في

السماء، ونحتفل بهم صباحا ومساء، فمشروع الشهادة يتضمن في عمقه منح السعادة القصوى للآخرين، والتي تصل حدّ الانتشاء.

وتونس في عهدها الجديد السعيد، استوعبت هذه المعاني، وحولت البلاد إلى بلد لا تنقطع أفراحه، ولا تنطفئ أنواره لتزهو بلادنا بين البلدان، لكن تظل عينا تفحص الماضي وأخرى تراقب الحاضر أما الكيان فيسابق الزمان، منقضا على المستقبل، ففي الحاضر يتشابك بالمستقبل على حدّ قول لابنتز .

لذلك تبقى أهم عبرة نستخلصها من ذكرى الشهداء، هو التحلي بمعاني التضحية والصبر على البلاء، وأن نظهر الاعتزاز بماضينا، والذي هو جزء من وعينا، خاصة أن تونس تحتفي هذه الأيام بشهر التراث، والمتمثل في تشجيع المواطنين على شراء آنية فخارية أو تزيّن البيت بزربية قيروانية، أو زيارة المعالم الأثرية، أو تقديم الأكلات التقليدية، وإنما الأمر أوسع من ذلك بكثير، وهو كيف ننقل نفسية الأجداد، الذين أثبتوا تمسكا كبيرا بالثوابت الدينية والوطنية، فتونس دوما وفية لماضيها، وناقدة لحاضرها، ومتطلعة للمستقبل بعيون حالمة.

ARCHIVE

الحوار... والمقاولة:

أهـــداف الحـــوار (3)

بقلم : د. صالح الداسي

إنّ الذي يتحاور معنا، أو يتحاور مع غيره لا يمكن أن يكون خاوي الوفاض بل يجب أن يكون حاملا لقضية ما والطرف الثاني بدوره يحمل قضية مخالفة لقضيتنا، ومادام هناك تضادّ في المواقف فلا يمكن أن يكون هذا التضاد مدعاة للعنف والرفض والعداء، بل لابد من أن يكون الحوار متجردا من قناعته الذاتية، ولو افتراضا إلى حين، لأنه لو قدم قناعته لأسقط الحوار وانقلب الحوار إلى جدل وحجاج.

لذا فإن الحوار يعتمد على نقطتين أساسيتين:

- العقل
- الوجدان (أي الجانب النفسي)

فلا يكون في مقدمة الحوار النزوع الوجداني أو العوامل النفسية وإلا سقطنا في النزاعات والحوار عكس ذلك لأنه يعتمد تقديم الإقناع العقلي ومحاولة خطاب العقل مع العقل، مع مراعاة أن المخاطب له مشاعر وأحاسيس ووجدان فلا يمكن النيل منها. فإذا كنت أنت على حق وخصمك كان أبرع منك وهو على باطل فأجعله صديقا معرفيا ولا تناصبه العداء، لأن القطيعة تترك المعلومة عندك غير مقنعة له فالحوار مهما ضعف فإنّ له لمحات المعرفة ومضاتها لذا فلابد في الحوار من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتماد المنطق العقلي، لكن ليس لذاته بل للتدليل على صحة قضية ما لذلك لابد من تجمّع معارف لدى كل متحاور، فإذا استقام المنطق العقلي، أستفيد بالمنهج الوجداني كعنصر تأييد للقضية وتقريب للطرف المحاور.

ويهدف الحوار في القصص القرآني إلى أهداف ثلاثة :

الهدف الأول : تركيز عقيدة التوحيد وذلك بمخاطبة الكافرين حتى يتوجهوا نحو الإله الحق، أو بمخاطبة المؤمنين ليزدادوا إيمانا على إيمان.

وإذا تصفحنا كتاب الله وجدنا فيه آيات كثيرة تهدف إلى إثبات وحدانية الله وتنزيهه عن الشبيه والنظير فلم يكن له تعالى : **"كفؤا أحد" (الإخلاص: 4)**، قال تعالى :**"هو الذي أنشأكم وجعل لكم السّمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون"** (الملك:23)، وقال تعالى : **"أو لم ير الذين كفروا أنّ السّماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون" (الأنبياء: 30)** وقال تعالى : **"الله لا إله هو الحيّ القيّوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السّماوات وما في الأرض... "** (البقرة : 255).

وإذا ما تمعنا كل قصص الأنبياء في القرآن وجدنا فيها نماذج من هذا الحوار (لإثبات وجود الله وقدرته على الخلق والإبداع) (81) وموازرته لرسله ونصره لهم على الأعداء والمكذّبين.

فالمنهج كان تارة **عقليا** يعتمد الحجة والدليل قال تعالى : **"لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا" (الأنبياء : 22)** (انظر : سورة البقرة : 164

وسورة الأنعام : 103 وسورة الطارق : 5-7) ، وتارة يكون المنهج وجدانيا أي يخاطب فطرة الإنسان حتى يطمئن فؤاده ويتعلق جنانه بخالقه، قال تعالى حكاية عن تحاور فرعون مع موسى وأخيه هارون : " **قال فمن ربّكما يا موسى قال ربّنا الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى** " (طه : 49-50) وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : **"الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدّين هب لي حكما وألحقني بالصّالحين"** (الشعراء: 78-79-80-81-82-83) وقال تعالى : " **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعا إنّه هو الغفور الرّحيم** " (الزمر : 53)، ولهذه الآية سبب نزول، عن ابن عباس رضي الله عنه (أنّ ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنّ الذي تدعو إليه لحسن إن تخبرنا إنّ لما عملناه كفارة فنزلت هذه الآية) (82) ولذا فإن الإسلام دين الفطرة (لأنه يخاطب الوجدان خطابا سديدا موثقا فيلزم الضمير في كل وقت وفي كل زمن بأن يستكين إليه ويستريح إلى تعاليمه ويطمئن إلى منهجه) (83).

الهدف الثاني: إثبات نبوة الرسل ورسالاتهم وهذا نجده في كافة قصص القرآن الكريم مثل قصة إبراهيم مع أبيه وقومه (الأنبياء : 52-72) ومثل قصة نوح مع قومه (هود: 28-25) ومثل قصة موسى مع فرعون

(الشعراء : 9-68) فالوحي الإلهي جاء (يعرض قضايا الدين ويحاور العقول في إثبات دين التوحيد والنبوة والمعاد) (84).

وهو ما يتوافق تماما مع ما ذكره **الدكتور التهامي نقرة** في كتابه **سيكولوجية القصة في القرآن الكريم** حيث اعتبر ذلك من محور القصص القرآني (والخوض في القضايا الغيبية التي كانت محور هذا القصص وهي : التوحيد والرسالة والبعث) (85) وهو ما يؤكد تلازم الحوار والجدل في القصص القرآني، وعلاقة ذلك بأهداف القصة ومقاصد القرآن.

الهدف الثالث : إثبات المعاد (يوم القيامة) وقد ربط **أحمد علي الملأ** في كتابه "**دراسات في العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة**" الإيمان بالبعث ضمن الإيمان بالملائكة والإيمان بالجن حيث قال (... والذي يعنينا في هذا البحث أن نتحدث على ثلاثة من أمور الغيب وهي :

1) الإيمان بالملائكة

2) الإيمان بالجن

3) الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به (86).

وتحت الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به ذكر :

أولا : حقائق تتعلق بالموت :

1) ملك الموت وقبضه الأرواح (الزمر : 42)

2) سؤال القبر (إبراهيم : 27)

3) عذاب القبر ونعيمه (الأنعام : 93، محمد : 27)

ثانيا :

1) أشراط الساعة (الأعراف : 187)

2) علاماتها الكبرى (سورة التكوير : 1-7 – الإنفطار : 1-4- الانشقاق : 1-5)

أ- ظهور الدجال : أحاديث نبوية رواها الشيخان وابن ماجة وأبو داود والترمذي

ب- نزول عيسى بن مريم (النساء : 157-159)

ج- ظهور يأجوج ومأجوج (الأنبياء : 96-79)

د- ظهور دابّة الأرض (النمل : 82)

هـ - طلوع الشمس من مغربها (أحاديث نبوية رواها البخاري)

ثالثا : يوم القيامة وأحداثه

1) كيف تقوم الساعة وتنعدم الحيـــاة (الزمر : 58، البقرة:281،الحشر:18، الزلزلة : (9-8)

2) الحساب : آل عمـــران 30،ص : 26-53، البقرة 284، الإنشقـــاق (7- -8)

3) هول الموقف وعظائمه : الأعراف : 8، الحج : 1-2، عبس : 33-37، الأنبياء : 101-103

4) الصراط والاجتياز عليه : الأنعام : 153، مريم : 71-72، يس: 66، الفاتحة : 6

5- الشفاعة والحوض : البقرة : 255، النساء : 48، مريم : 87

6- الجنة والنار والخلود في كل منهما : القمر : 47-48، الواقعة : 27-34-51-56، الغاشية: 8-16 (87) وقد ألف **الدكتور الجميلي (مواقف يوم القيامة)** تناول فيه كيف يحشر الناس يوم القيامة، والشفاعة العظمى والكوثر، ونداءات بين الجنة والنار، وأهل القرآن وفضلهم عند الله يوم القيامة ... الخ (88) ومعلوم أن عقولنا لا تستطيع النفاذ إلى عالم الغيب، لأن ما فيه من أحداث ووقائع فوق العقل والتصور، ولا سبيل إلا التصديق بما جاءنا في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

فأهداف الحوار ثلاثة :

1) توحيد الله

2) إثبات رسالة الرسل

3) الإيمان بالبعث (بالغيب)

أما المنهج فهو :

1) عقلي

2) وجداني

هـ – مراعاة مقاصد القرآن :

لا يستقيم الحوار لدى المسلم إزاء الآخر إلا إذا كان المؤمن عارفا بمقاصد القرآن، باعتبار كونها هي الأهداف الكلية التي ينبغي اعتبارها، وإلا سقط في عقيدة من يخالفه، وضاع خيط الحوار من بين يديه ، لأن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحوار إذا قيّد بالوحي القرآني تحتم لدى من يؤمن به مراعاة أهدافه، إذ ليس الحوار لذات الحوار، وإنما هو حول مبحث من مباحث الذكر الحكيم.

وقد أولى الباحثون والمفسرون عناية خاصة بمقاصد القرآن يحسن بنا التعرف على البعض منها حتى نتبين هذه المقاصد، ونحكم الربط بينها وبين أهداف الحوار المتقدم ذكرها. وسأقتصر على ثلاثة من الباحثين وهم :

1- محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي :

تناول **محمد** رشيد رضا مقاصد القرآن في كتابه "**الوحي المحمدي**" (89) الفصل الخامس حيث عنونه هكذا (**في مقاصد القرآن في تربية نوع الإنسان، وحكمة ما فيه من التكرارية وإعجازه بالبيان**) حصر فيه مقاصد القرآن في عشرة مقاصد، وهي على النحو التالي:

المقصد الأول: في حقيقة أركان الدين الثلاثة التي دعا إليها الرسل وهي:

1) الإيمان بالله تعالى

2) عقيدة البعث

3) العمل الصالح (90) وهذا يتوافق مع أهداف الحوار باعتبار أن العمل الصالح في القرآن هو ما كان مسبوقا بالإيمان وثمرة من ثماره.

المقصد الثاني : بيان ما جهل البشر من أمور النبوة والرسالة ووظائف الرسل (91) وهو يتوافق تماما مع ما نجده في مختلف قصص القرآن من

حوار بين الرسل وأقوامهم، خاصة ما جاء متعلقا بسنن الله في عالم الشهادة وعالم الغيب.

المقصد الثالث : الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة... الخ (93)

المقصد الرابع : الإصلاح الإنساني والاجتماعي والسياسي... الخ (93)

2- محمد الصالح الصديق : مقاصد القرآن : (94)

تناول في الجزء الأول منه في الباب الثاني العقائد وفي الفصل الثاني ذكر فيه الموت والحساب والشفاعة والجنة، وفي الباب الثالث ذكر فيه : طرق الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة والمجادلة، وفي الفصل السابع منه ذكر فيه الدعوة إلى الله، دعوة الأنبياء، أما في الفصل الثالث عشر فأشار فيه إلى الإيمان بالغيب وإلى عبادة الأوثان، وأنواع الشرك (95) فهو يتوافق في بعض المقاصد التي ذكرها محمد رشيد رضا كما أشار إلى أهداف الحوار ومنهجيته.

3- حسين سامي بدوي : مقاصد القرآن (بحث) (96)

حصر مقاصد القرآن في :

1) إعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه وفصاحته

2) إعجاز القرآن بما فيه من الغيب مستدلا بقوله تعالى : **" ألم غلبت الرّوم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون "** (الروم : 1-3) وبقوله تعالى : **"إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون"** الحجر:9.

3) القرآن هداية عامة للبشر فهو :

هداية إلى المعتقدات الصحيحة حيث قال : " وإنك لتجد القرآن قد عني بهذه الناحية عناية لا نظير لها، لأن العقيدة الصحيحة مبعث الكمالات والفضائل كلها... فنراه يدعو إلى توحيد الله تعالى ويقيم عليه من الأدلة ما يقنع كل منصف ويفتح أمام العقل البشري طرق الاستدلال الصحيح على توحيد الله، وسبل التفكير في آثار الله في الأنفس والآفاق وينعى عن المقلدين الجامدين ويدعو إلى الإيمان باليوم الآخر " (97). فهذه الفقرة تؤكد على الهدف الأول من أهداف الحوار ألا وهو تركيز العقيدة.

كما أنه يتفق مع ما ذكره محمد رشيد رضا ومحمد الصالح الصديق في مقصد التشريع وتنظيم شؤون المجتمع إلا أن هذا يكون في تركيز المجتمع الإسلامي وتنظيم الحياة العامة والسير بالأفراد بعد هدايتهم إلى إيجاد الحياة الفاضلة في ظل مجتمع متحضر، يقوم على أسس من التربية القرآنية وهو ما أشار إليه محمد رشيد رضا بداية من المقصد الرابع إلى المقصد العاشر من مقاصد القرآن في كتابه (الوحي المحمدي) (98) .

كما هنالك توافق أيضا مع ما ذكره محمد الصالح الصديق في الباب الخامس من كتابه (مُقاصد القرآن) حيث ذكر فيه المساواة والتعارف في الإسلام، وأقوم المناهج في معاملة الناس (99).

وهو ما يتطابق مع ما ذكره حسين سامي بدوي في آخر بحثه حيث ذكر (هداية القرآن في التشريع المدني والسياسي والحربي وفي الأحكام

والقضاء، وفي تنظيم شؤون المجتمع (100) باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإصلاح . (يتبـــــع)

الهـــوامش :

81) عبد الكريم غلاب : صراع المذهب والعقيدة في القرآن : 215

82) البخاري : الجامع الصحيح ج 3 : 113 تفسير سورة الزمر

83) أحمد محمد رحومة : منهج القرآن في الدعوة إلى التوحيد : 181

84) الدكتور الهادي حمو : دكتوراه مرحلة ثالثة : مواقف الحجاج والجدل في القرآن مرقونة بمكتبة جامعة الزيتونة ع 12 الورقة 241

85) الدكتور التوهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن : 411

86) أحمد علي الملأ : في ضوء الكتاب والسنة : 325

87) أحمد علي الملأ : في ضوء الكتاب والسنة : 325 ط 1 دمشق 1406هـ / 1986 م

88) السيد الجميلي : مواقف يوم القيامة ط بيروت 1987

انظر الدكتور التهامي نقرة : عقيدة البعث الإسلامية ط 1 تونس 1975

89) ط 10 : المكتب الإسلامي بيروت 1405هـ/1985م

90) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي 168

91) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي : 198

92) المرجع السابق : 238

93) المرجع السابق :257

94) ط1 بالجزائر 1375 هـ / 1955 م جزءان لم أطلع إلا على الأول منهما

95) محمد الصالح الصديق : مقاصد القرآن ج 1 – ص 330

96) مجلة الإسلام ص 5 ع 37 (30 رمضان 1355 هـ / ديسمبر 1936م) ص 14-21

97) حسين سامي بدوي : مقاصد القرآن بحث بمجلة الإسلام ص 5 ع 37، ص 19

98) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي : 257-340

99) محمد الصالح الصديق : مقاصد القرآن : ج 1 ص 334-359

100) حسين سامي بدوي : مقاصد القرآن (بحث) بمجلة الإسلام ص 5 ع 37 ص 24

الفكر العربي المعاصر وقضية التراث (3)

(شروط تحقيق الحداثة العربية)

بقلم : الباحث محمد الرزقي

التمهيد :

تناول الجزء الأول من هذه الدراسة، الأسباب التاريخية التي حولت قضية التراث إلى إشكالية مركزية في الفكر العربي المعاصر، وتباين الآراء المسجلة من قضية التراث، والتي انقسمت إلى ثلاث اتجاهات كبرى، وهي الاتجاه السلفي والإتجاه الليبرالي، والاتجاه النقدي.

أما الجزء الثاني من الدراسة، فقد عالج طبيعة العلاقة التي تربط الماضي بالحاضر، ودور الماضي في تحقيق التجانس الزمني للإنسان العربي المعاصر، ففهم هذا الماضي يعدّ البوابة الحقيقية لتحديد علل العقل العربي المعاصر، خاصة أن العقل العربي، اكتشف واقعة جديدة لم يعهدها من قبل، ولم يساهم في صنعها وهي واقعة الحداثة.

فهل يمكن للعقل العربي الانخراط في واقعة الحداثة ؟ وهل باستطاعته تشيّد حداثة عربية لا شرقية ولا غربية ؟ فم الحداثة ؟

1- التطوّر المفهومي لمصطلح الحداثة

تستعمل لفظة الحداثة للدلالة على المميزات المشتركة بين البلدان الأكثر تقدما في مجال النمو التكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي (1) إلاّ أنه بالعودة إلى جذورها اللغويّة، نجدها تتعارض مع كلمة القدم،

فتكون بذلك دالة على الرفض لأسس الديمومة والثبات، وموصولة بمعطيين أساسيين وهما الجدّة والابتكار.

فمصطلح الحداثة ظهر في السياق التاريخي الأوروبي، بعد أن وقع التمهيد له من القرون الوسطى وخاصة في فرنسا، لدلاله على الأعضاء الجدد في هيئة القضاء، والذين هم من الشباب المحدثون، الذين وقع انتخابهم أو تعيينهم من قبل الملك، ليعوضوا زملائهم القدامى في مهمة القضاء بالمدن، والمعنى الذي كان ينطوي عليه هذا الاستعمال هو التحديد الزمني الثوري المتصل بتعيين أولئك القضاة، فلم يكن لمعنى الحديث حينها أي دلالة تفصيلية، باعتبار أن الحديث يعني المختلف عن القديم، وقد ظل استعمال هذه العبارة حاليا أي تحييد حتى القرن الثامن عشر، إذ نجد جون جاك روسو (ت 1778) يستعمل كلمة حديث في رسالته حول الموسيقى بمعنى "انتقاص"، فينتقد الموسيقى الحديثة في عصره، معتبرا إياها مبتذلة قياسا بالموسيقى الكلاسيكية، ولا نجد لهذه الكلمة حضورا متميزا إلا في القرن التاسع عشر، بقلم الفرنسي شارل بودلار (ت 1867)، الذي يقول في إحدى نصوصه الأدبية " هكذا يمضي يعدو ويبحث، عما يبحث يا ترى ... يبحث عن الشيء الذي يجوز لنا تسميته الحداثة " (2) ، فالحداثة من خلال هذا النصّ، أصبحت هدفا متميزا يسعى إليه الاوروبيين، إذ صارت تعني الأصالة الجديدة، والعمق الإنساني، والمتجسدة في كل ماهو يومي وسريع المرور والمبتذل المظهر، فالحداثة بهذا الاستعمال من الجدّة من أجل الجدّة .

والمؤكد أن فهم الحداثة على هذا النحو، ماكان ليقع التعبير عنه بهذه الدقة والجدّة، لولا صيرورة تاريخية مسبقة، مهدت لبلورته، فماهي هذه الصيرورة، وماهي أهم محطاتها ؟ .

2- المحطات الكبرى للحداثة :

انتهت القرون الوسطى (3) في اوروبا، إلى حيّرة كبرى، أدت في المستوى المعرفي إلى البحث عن أسس جديدة للحقيقة، وفي المستوى الواقعي أدت إلى ضرورة البحث عن أنماط جديدة للحياة، وفضاءات اوسع من التي كانت موجودة، ودامت هذه الحيرة خمسة قرون تقريبا، إذ بدأت ارهاصاتها الأولى من القرن الخامس عشر، لتصل في القرن العشرين، إلى إفراز نمط جديد في الحياة.

وأولى بوادر هذه الأطوار، تمثل في حركة الإصلاح الديني، التي رفضت التراث الكنسي ، ودعت إلى اعتماد مصدر واحد للدين، وهو الكتاب المقدس، كما اكدت حركة الإصلاح الديني على مسألة رفض التوسط بين الإنسان والله، فضربت بذلك مصالح الكنيسة، وكان الهدف من وراء هذا الإتجاه إعادة بناء الماضي وفق روح العصر، وقد نتج عن هذه الإصلاحات حريّة دينية وحريّة سياسية، مما رفع من قيمة الإنسان وأعلى من شأن العقل، بل أصبح الإنسان هو منطلق المعرفة، والقيمة العليا لبناء المجتمع، وعلى أساسه تقوم مشروعية الدولة، وهذا ما عناه بعضهم بقولهم لقد مات الإله، واقترب الزمان الذي يمتنع فيه الإنسان عن احتقار نفسه (4) .

فالإنسان أصبح هو الذي يعطي القيمة الأساسية للمعرفة والفكر والسلطة السياسية، وهذا التحول الجذري تحقق بفضل "فلسفة الأنوار"، التي حددت بشكل نهائي مسيرة الحداثة في أوروبا. وقد توجت هذه المرحلة بالثورة الفرنسية، والتي تعدّ التجسيد العملي "لولادة الحداثة"، فهي تنوير للنظام السياسي من خلال ولادة طبقة البرجوازية، كما رافقت هذه الثورة السياسية ثورة أخرى صناعية، استطاعت ان تغير من طبيعة الثروة، ومجالات تحقيق الأرباح، من خلال تركيز جهودها على تطوير القطاع الصناعي، وتوفير ما يحتاجه من مواد أولية وآلات ويد عاملة. مما جعل هذه المجتمعات، سواء كانت في الغرب أو الشرق، تتميز بقدرتها الفائقة على الابتكار والتغيير، فهم " غيروا حكوماتهم ولغتهم وعلومهم وفنونهم وقوانينهم وملابسهم وعاداتهم" (5) ليدخل المجتمع في حركة دائمة لا تعرف التوقف، على مختلف المستويات.

وأمام هذه التطورات التي شهدها العالم الغربي، تطرح جملة من الأسئلة، ومن بينها، لماذا لم تشهد البلاد العربية حداثة كالتي شهدتها أوروبا ؟ وما الذي يمنع تبني النموذج الغربي الذي اثبت نجاعته ؟ .

الهوامـــش :

1- عبد المجيد الشرفي، الإسلام والحداثة، ص 20، دار الجنوب،ط3، 1998 .

2- جيمس بيرك، عندما تغير العالم المنشور ضمن سلسلة عالم المعرفة ص 384.

3- يرتبط بدايتها بسنة 1492، تاريخ سقوط الأندلس واكتشاف العالم الجديد

4- راجع نيتشه، هكذا تكلم زاردشت، ترجمة فليكس فارس، ص 38، دار القلم، د.ت

5- قاسم أمين، الأعمال الكاملة، ص 220، بيروت، 1976

دستـــــور 1959

بقلم: عمّار الزريبي

تحتفل تونس يوم 1 جوان 2009 بالذكرى الخمسين لصدور دستور 1959, الذي حدد النظام السياسي لبلادنا, واعتمد لهذا النظام قاعدة تفريق السلط (تشريعية, تنفيذية, قضائية) وكفل الحقوق وضبط الواجبات وجعل الشعب المصدر الوحيد للسيادة.

وبلادنا التي تعتبر في الماضي من البلدان القليلة المتحضرة , التي تعود حضارتها إلى أكثر من ثلاثة ألاف سنة, يحتل الدستور فيها, القضية المركزية لا في وجدان وعواطف وعقول الزعماء ورواد الإصلاح وقادة الرأي فقط, بل وكذلك في وجدان وعواطف وعقول عموم المواطنين.

فدستور تونس الأول صدر في عهد قرطاج خلال القرن الرابع قبل الميلاد, الذي كرس حق الانتخاب, وأسس نظاما جمهوريا, والذي تعرض له الفيلسوف اليوناني " أرسطو" في كتابه " السياسة " وفضله على دستور " أسبر طه " وخاصة من حيث التنظيم المحكم للسلطة.

ودستور تونس الثاني " عهد الأمان " الذي صدر سنة 1857 والذي لا علاقة له بحقوق الشعب, وإنما كان استجابة لضغوط القناصل من أجل المزيد من الامتيازات للأجانب المقيمين بتونس.

ودستور تونس الثالث الصادر سنة 1861 الذي جعل العائلة المالكة مصدرا للسيادة وتضمنت أحكامه تكريس ما تتمتع به هذه العائلة من الامتيازات وإسناد الوظائف العليا للمماليك دون سواهم واستغلال

الدواليب التي أحدثها هذا الدستور للتلاعب بالأموال العمومية, واختلاسها وتهريبها خارج البلاد, وإثقال كاهل الأهالي بالضرائب مما أدى إلى اندلاع ثورة العربان بقيادة بن غذاهم وبن دحر وأبطل العمل به سنة 1864.

وفي سنة 1920 لما بدأت أول حركة منظمة لمقاومة الاحتلال بتأسيس "الحزب الحر الدستوري" فهذه التسمية تعني تحقيق الحرية للبلاد ووضع دستور يكون الشعب فيه المصدر الوحيد للسيادة.

وفي سنة 1934 عندما أدخلت تحولات جذرية على هيكلة وأساليب ووسائل عمل الحزب حافظ على الشعارين الحرية والدستور مما يعني التمسك بالأهداف المرسومة.

وفي سنة 1964 بعد أن تحصلت تونس على كامل حريتها واستقلالها السياسي والاقتصادي باسترجاع الأراضي الفلاحية من المعمرين تخلى الحزب عن شعار الحرية, واستبدلها بشعار الاشتراكية, وحافظ على شعار " الدستور".

وفي سنة 1987 وغداة التحول المبارك الذي شهدته تونس أصبح الحزب يحمل اسم" التجمع الدستوري الديمقراطي" مما يعني دخول مرحلة جديدة لا ترى مانعا من تعدد الآراء على مستوى الوسائل والأساليب ولكنها تضع خطوطا حمراء في ما يتعلق بمحبة تونس والذّود عنها والنهوض بها وعدم الولاء لغيرها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلاحظ مما تقدم ان شعار " الدستور " لم يقع التخلي عليه لما له من مكانة وأهمية ماضيا وحاضرا ومستقبلا, ولذلك كان دستور 1 جوان 1959 استجابة لكل هذه الآمال والأماني, وكان استجابة للدماء التي سالت في مختلف معارك الحرية والاستقلال وخاصة الدماء التي روت شجرة الحرية والانعتاق يومي 8 و9 أفريل 1938.

فبمجرد أن استقلت تونس يوم 20 مارس 1956 نظمت بعد مرور خمسة أيام فقط (25 مارس 1956) انتخابات عامة مباشرة لانتخاب المجلس القومي التأسيسي الذي تتمثل مهمته الأساسية في وضع دستور للبلاد .

وما تجدر ملاحظته هنا أن هذه الانتخابات الأول من نوعها في تونس لم تشارك فيها المرأة وكانت انتخابات تعددية شارك فيها:

1. الحزب الحر الدستوري الذي شكل بمعية المنظمات الوطنية " قائمة الوحدة الوطنية , التي تحصلت على 589 292 صوتا وفازت بجميع المقاعد.
2. الحزب الشيوعي الذي تحصل على 7890 صوتا.
3. قائمة مستقلة تحصلت على 233 صوتا.

وقد عقد المجلس القومي التأسيسي أول اجتماع له يوم 8 أفريل 1956, حيث أن هذا اليوم يذكّر بتلك المواجهات الدامية التي كان من ابرز شعاراتها " برلمان تونسي".

وبعد جلسات ومداولات مطوّلة على مستوى اللجان والجلسات العامة تمّ إصدار دستور 1959 ، بمقتضى القانون عدد 57 المؤرخ في 1 جوان 1959 الذي يشتمل على توطئة وعشرة أبواب و64 فصلا

التوطئة :

بسم الله الرحمان الرحيم

نحن ممثلي الشعب التونسي

المجتمعين في مجلس قومي تأسيسي

نعلن :

إن هذا الشعب الذي تخلص من السيطرة الأجنبية بفضل تكتله العتيد وكفاحه ضد الطغيان والاستعمار والتخلف.

مصمّم :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- على توثيق عرى الوحدة القومية والتمسك بالقيم الإنسانية المشاعة بين الشعوب التي تدين بكرامة الإنسان وبالعدالة والحرية وتعمل للسلم والتعاون الدولي الحر.
- وعلى تعلقه بتعاليم الإسلام وبوحدة المغرب الكبير وبانتمائه للأسرة العربية وبالتعاون مع الشعوب الإفريقية في بناء مصير أفضل وبالتضامن مع جميع الشعوب المناضلة من أجل الحرية والعدالة
- وعلى إقامة دمقراطية أساسها سيادة الشعب وقوامها نظام سياسي مستقر يرتكز على قاعدة تفريق السلط

ونعلن :

أن النظام الجمهوري خير كفيل لحقوق الإنسان وإقرار المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ولتوفير أسباب الرفاهية بتنمية الاقتصاد واستخدام ثروة البلاد لفائدة الشعب وأنجع أداة لرعاية الأسرة وحق المواطنين في العمل والصحة والتعليم

نحن ممثلي الشعب التونسي الحر صاحب السيادة نرسم على بركة الله هذا الدستور

الباب الأول: أحكام عامة

الفصل 1 : تونس دولة حرة, مستقلة, ذات سيادة, الإسلام دينها, والعربية لغتها, والجمهورية نظامها.

الفصل2: الجمهورية التونسية جزء من المغرب الكبير تعمل لوحدته في نطاق المصلحة المشتركة

الفصل3: الشعب التونسي هو صاحب السيادة يباشرها على الوجه الذي يضبطه الدستور

الفصل4: علم الجمهورية التونسية أحمر تتوسطه دائرة بيضاء بها نجم ذو خمسة أشعة يحيط به هلال احمر حسبما يبينه القانون.

وشعار الجمهورية: حرية – نظام — عدالة.

الفصل5: الجمهورية التونسية تضمن حرمة الفرد وحرية المعتقد وتحمي حرية القيام بالشعائر الدينية ما لم تخل بالأمن العام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل6 : كل المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات وهم سواء أمام القانون

الفصل7 : يتمتع المواطن بحقوقه كاملة بالطرق والشروط المبينة بالقانون ولا يحد من هذه الحقوق إلا بقانون يتخذ لاحترام حقوق الغير ولصالح الأمن العام والدفاع الوطني ولازدهار الاقتصاد وللنهوض الاجتماعي.

الفصل8 : حرية الفكر والتعبير والصحافة والنشر والاجتماع وتأسيس الجمعيات مضمونة وتمارس حسبما يضبطه القانون.

والحق النقابي مضمون.

الفصل9: حرمة المسكن وسرية المراسلة , مضمونتان إلا في الحالات الاستثنائية التي يضبطها القانون.

الفصل10 : لكل مواطن حرية التنقل داخل البلاد والى خارجها واختيار مقر إقامته في حدود القانون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل11 : يحجر تغريب المواطن عن تراب الوطن أو منعه من العودة إليه.

الفصل12: كل متهم بجريمة يعتبر بريئا حتى تثبت إدانته في محاكمة تكفل له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عن نفسه

الفصل13: العقوبة شخصية ولا تكون إلا بمقتضى نص قانوني سابق الوضع

الفصل14: حق الملكية مضمون ويمارس في حدود القانون

الفصل15: الدفاع عن حوزة الوطن وسلامته واجب مقدس على كل مواطن

الفصل16: أداء الضرائب والتكاليف العامة واجب على كل شخص على أساس الإنصاف

الفصل17: يحجر تسليم اللاجئين السياسيين

الباب الثاني: السلطة التشريعية

الفصل18: يمارس الشعب السلطة التشريعية بواسطة مجلس نيابي يسمى "مجلس الأمة"

الفصل19: ينتخب مجلس الأمة انتخابا عاما حرا مباشرا سريا حسب الطريقة والشروط التي يحدّدها القانون

الفصل20: يعتبر ناخبا كل مواطن يتمتع بالجنسية التونسية منذ خمسة أعوام على الأقل، ويبلغ من العمر عشرين سنة كاملة.

الفصل21: الترشح لعضوية مجلس الأمة حق لكل ناخب ولد من أب تونسي وبلغ ثلاثين سنة كاملة.

الفصل22: يجري انتخاب مجلس الأمة ورئيس الجمهورية معا، لمدة خمس سنوات خلال الثلاثين يوما الأخيرة من المدة النيابية.

الفصل23: إذا تعذر إجراء الانتخابات في الميعاد المقرر لسبب حالة حرب أوخطر مهدد، فان مدة المجلس القائم ورئيس الجمهورية تمدد بقانون إلى أن يتسنى إجراء الانتخابات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل24: مقر مجلس النواب تونس العاصمة وضواحيها ويمكن في الظروف الاستثنائية أن تنعقد جلسات المجلس في مكان آخر.

الفصل25: يعتبر كل نائب بمجلس الأمة نائبا للأمة جمعاء.

الفصل26: لا يمكن تتبع النائب أو إيقافه أو محاكمته لأجل آراء أو اقتراحات يبديها أو إعمال يقوم بها لأداء مهام نيابية داخل المجلس.

الفصل27: لا يمكن إجراء تتبع أو إيقاف احد النواب طيلة نيابته في تهمة جنائية أو جناحية ما لم يرفع عنه بمجلس الأمة الحصانة أما في حالة التلبس بالجريمة فانه يمكن إيقافه ويعلم المجلس حالا على أن ينتهي كل إيقاف إذا طلب المجلس ذلك.

الفصل28: مجلس الأمة هو الذي يمارس السلطة التشريعية ولرئيس الجمهورية ولكل نائب حق عرض مشاريع القوانين ولمشاريع رئيس الجمهورية أولوية النظر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمجلس الأمة ان يفوض لمدة محدودة ولغرض معين إلى رئيس الجمهورية اتخاذ مراسيم تعرض على مصادقة المجلس بعد انقضاء المدة المذكورة.

الفصل29: يعقد مجلس الأمة في كل سنة دورتين عاديتين يحدّدها القانون. ولا تتجاوز كل دورة ثلاثة أشهر ويجتمع المجلس بصورة استثنائية بطلب من رئيس الجمهورية أو بطلب من أغلبية النواب.

الفصل30: ينتخب مجلس الأمة من بين أعضائه لجانا قارة تعمل بدون انقطاع حتى أثناء عطلة المجلس.

الفصل31: لرئيس الجمهورية أن يتخذ خلال عطلة المجلس باتفاق مع اللجنة القارة المختصة مراسيم يقع عرضها على مصادقة المجلس في دورته العادية المقبلة.

الفصل32: لرئيس الجمهورية, في حالة خطر مهدد لكيان الجمهورية وامن البلاد واستقلالها بحيث يتعذر سير دواليب الدولة الطبيعي, اتخاذ ما تحتمه الظروف من تدابير استثنائية تزول بزوال أسبابها ويرسل رئيس الجمهورية بيانا في ذلك إلى مجلس الأمة

الفصل33: يعرض مشروع ميزانية الدولة على مصادقة مجلس الأمة.

الفصل34: يضبط القانون طريقة إعداد الميزانية وعرضها على مجلس الأمة كما يحدد السنة المالية

الفصل35: يقر مجلس الأمة الحساب الختامي لميزانية الدولة.

الفصل36: الضرائب الدولية والقروض العمومية والتعهدات المالية لا تكون إلا بقانون

الباب الثالث: السلطة التنفيذية

الفصل37: رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة, ودينه الإسلام.

الفصل38: رئيس الجمهورية يمارس السلطة التنفيذية طبقا لأحكام هذا الدستور, وهو الساهر عليه.

الفصل39: الترشح لمنصب رئيس الجمهورية حق لكل تونسي مولود لأب وجد تونسيين ثلاثتهم تونسيون بدون انقطاع بلغ من العمر أربعين سنة ويتمتع بجميع حقوقه المدنية ويسجل الترشح بدفتر خاص

لدى لجنة تتركب من رئيس بمجلس الأمة, وهو الرئيس, ومن أربعة أعضاء وهم مفتي الديار التونسية, والرئيس الأول لمحكمة التعقيب والرئيس الأول لمحكمة الاستئناف بتونس العاصمة, ووكيل الجمهورية العام.

وتبت اللجنة في صحة الترشح وتعلن عن نتيجة الانتخاب ومدة الترشح والانتخاب شهران وتنتهي مدة الترشح بانتهاء الشهر الأول.

الفصل40: ينتخب رئيس الجمهورية لمدة خمسة أعوام انتخابا عاما حرا مباشرا سريا من طرف الناخبين المنصوص عليهم بالفصل العشرين، ولا يجوز لرئيس الجمهورية ان يجدد ترشحه للرئاسة أكثر من ثلاث مرات متوالية.

الفصل41: رئيس الجمهورية المنتخب يؤدي أمام مجلس الأمة اليمين التالية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

" اقسم بالله العظيم أن أحافظ على استقلال الوطن وسلامته, وان احترم دستور البلاد وتشريعها وان ارعى مصالح الأمة رعاية كاملة".

الفصل42: المقر الرسمي لرئيس الجمهورية تونس العاصمة وضواحيها.

الفصل43: رئيس الجمهورية يضبط السياسة العامة للدولة ويشرف على تنفيذها ويطلع مجلس الأمة على سيرها وهو الذي يختار أعضاء حكومته وهم مسؤولون لديه.

ولرئيس الجمهورية أن يخاطب مجلس الأمة مباشرة أو بطريقة بيان يرسله إليه.

الفصل44: يختم رئيس الجمهورية النصوص التشريعية أو الدستورية لإصدارها ونشرها بالرائد الرسمي في أجل لا يتجاوز خمسة عشر يوما بعد بلوغها إليه من طرف رئيس مجلس الأمة.

ولرئيس الجمهورية الحق في ردها أثناء الأجل المذكور لتلاوة أخرى وإذا وقعت المصادقة من جديد على المشروع بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس فانه يقع إصداره ويصير نافذ المفعول في أجل أخر لا يتجاوز خمسة عشر يوما.

الفصل45: رئيس الجمهورية يصهر على تنفيذ النصوص التشريعية وهو الذي يسند الوظائف المدنية والعسكرية.

الفصل46: رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات العسكرية.

الفصل47: يعتمد رئيس الجمهورية الممثلين السياسيين للدولة في الخارج ويقبل اعتماد ممثلي الدولة الأجنبية لديه.

الفصل48: المعاهدات لا تعد نافذة المفعول إلا بعد المصادقة عليها من طرف مجلس الأمة, وتكتسب هذه النصوص أولوية العمل بها بالنسبة لما عسى أن يعارضها من القوانين الداخلية.

الفص49: يختم رئيس الجمهورية المعاهدات ويشهر الحرب, ويبرم الصلح بموافقة مجلس الأمة

الفصل50: لرئيس الجمهورية حق العفو الخاص.

الفصل51: في حالة شغور منصب رئاسة الجمهورية لوفاة, أو استقالة, أو عجز ثابت. يعين أعضاء الحكومة من بينهم من يتولى مهام رئاسة

الدولة بصورة وقتية ويبلغون فورا إلى رئيس مجلس الأمة وثيقة هذا التعيين .

ويجتمع مجلس الأمة بدعوة من رئيسه لانتخاب خلف للرئيس السابق ولما بقي من مدته من بين المترشحين المتوفرة فيهم الشروط الواردة في الفصل التاسع والثلاثين أثناء الأسبوع الخامس ابتداء من الشغور وطريقة الانتخاب هذا تكون سرية وبالأغلبية المطلقة في الاقتراع الأول والثاني. وعند وجوب إجراء اقتراع ثالث فبالأغلبية النسبية على أن يجرى هذا الاقتراع الأخير في اليوم الموالي.

الباب الرابع: السلطة القضائية

الفصل52: تصدر الأحكام باسم الشعب وتنفذ باسم رئيس الجمهورية.

الفصل53: القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون.

الفصل54: تسمية القضاة تكون بأمر من رئيس الجمهورية بمقتضى ترشح من مجلس القضاء الأعلى وكيفية انتدابهم يضبطها القانون.

الفصل55: الضمانات اللازمة للقضاة من حيث التعيين والترقية والنقلة والتأديب يسهر على تحقيقها مجلس أعلى للقضاء يضبط القانون تركيبه واختصاصاته.

الباب الخامس: المحكمة العليا

الفصل56: تتكون المحكمة العليا عند اقتراف الخيانة العظمى من احد أعضاء الحكومة ويضبط القانون صلاحيات هذه المحكمة وتركيبها وإجراءاتها.

الباب السادس: مجلس الدولة

الفصل57: يتركب مجلس الدولة من هيئتين:

الأولى: قضائية إدارية تنظر في النزاعات التي تنشا بين الأفراد من جهة وبين الدولة أو الجماعات العمومية من جهة أخرى وفي تجاوز الإدارة سلطتها.

الثانية: دائرة المحاسبات تتولى مراجعة حسابات الدولة وترفع تقريرا في ذلك إلى رئيس الجمهورية و إلى مجلس الأمة.

الباب السابع: المجلس الاقتصادي والاجتماعي

الفصل58: المجلس الاقتصادي والاجتماعي هيئة استشارية في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية, ويضبط القانون تركيبه وعلاقاته بمجلس الأمة.

الباب الثامن: الجماعات المحلية

الفصل59: تمارس المجالس البلدية والمجالس الجهوية المصالح المحلية حسبما يضبطه القانون.

الباب التاسع: تنقيح الدستور

الفصل60: لرئيس الجمهورية أو لثلث أعضاء مجلس الأمة على الأقل الحق في المطالبة بتنقيح الدستور ما لم يمس ذلك بالنظام الجمهوري للدولة.

الفصل61: لا ينظر المجلس في التنقيح المزمع إدخاله إلا بعد قرار منه بالأغلبية المطلقة وبعد تحديد موضوعه ودرسه من طرف اللجنة المختصة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يمكن إدخال أي تنقيح على هذا الدستور من طرف مجلس الأمة إلا إذا تمت الموافقة عليه بأغلبية الثلثين من الأعضاء في قراءتين تقع الثانية بعد ثلاثة أشهر على الأقل من الأولى.

الفصل62: يختم رئيس الجمهورية تنقيح الدستور بعنوان نص دستوري ويصدره طبقا لأحكام الفصل الرابع والأربعين.

الباب العاشر: أحكام انتقالية

الفصل63: يختم رئيس الجمهورية هذا الدستور يصدره في 25 ذي الحجة 1378 وفي غرة جوان 1959 في اجتماع المجلس القومي التأسيسي الذي يبقى قائما إلى أن يتم انتخاب مجلس الأمة واجتماعه.

الفصل64: يدخل هذا الدستور في حيز التطبيق ابتداء من تاريخ إصداره طبق الفصل الثالث والستين وريثما يتم انتخاب رئيس الجمهورية ومجلس الأمة خلال شهر نوفمبر 1959 فان النظام الحالي الناتج عن قرار المجلس القومي التأسيسي الصادر في 26 ذي الحجة 1376 وفي 25 جويلية 1957 يستمر كما هو ويعقد مجلس الأمة الأول أول اجتماع له بعد الزوال من ثاني خميس ليوم الانتخاب بمقره الحالي.

وبما أن دستور 1959 من الدساتير المرنة التي يمكن تنقيحها بقوانين دستورية فقد حدد المجلس القومي التأسيسي (الفصل61) لسنها الشروط التالية.

1. لا ينظر المجلس في تنقيح الدستور إلا بعد قرار منه بالأغلبية المطلقة على الأقل وبعد تحديد موضوعه من طرف اللجنة المختصة.
2. يتعين ان تتم المصادقة على قانون تنقيح الدستور بأغلبية الثلثين في قراءتين تقع الثانية بعد ثلاثة أشهر من الأولى على الأقل.

وبالرغم من هذه الشروط أدخلت تنقيحات على الدستور شكلت خرقا صارخا له ونيلا واضحا من سيادة الشعب (الرئاسة مدى الحياة والخلافة آلية) التي كادت أن تعصف بالدولة وتفكك المجتمع. ولذلك بادر الرئيس زين العابدين بن علي غداة الإعلان عن حركته الإصلاحية والتصحيحية في فجر 7 نوفمبر 1987 بإلغاء هذه التجاوزات, وإقرار مؤسسة دستورية جديدة " المجلس الدستوري" الذي تلزم قراراته السلطات العمومية والذي يتولى المراقبة المسبقة لكل تنقيح دستوري أو سن نص تشريعي تأسيسي أو عادي قبل إحالتها إلى المجلس والمراقبة اللاحقة قبل ختمه من طرف رئيس الجمهورية إلى جانب مراقبة مختلف النصوص الترتيبية حتى تكون جميعها ملائمة للدستور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الأديب مبروك صالح المناعي

بقلم : عمر سبيكة

ذات فجر صيفيّ، وعندما كانت الدّورة الأولى لملتقى هوّاة الأدب بمنزل عبد الرحمان تستقبل في انشراح وتفاؤل يومها الثاني خلال شهر جويلية من سنة 1990، أرادت لي الأقدار أن ألتقي بوجه منشرح، متفائل، دائم الوضوح كالمرايا، بادرني بالسّلام، وكان السؤال الملحّ لديه : أيّ قرابة تجمع بيني وبين زميل قديم له في العمل بالشركة الوطنية للسّكك الحديدية التونسية توفي سنة 1967 يدعى محمد الهادي سبيكة ؟ وأجبته بأنّه والدي رحمه الله، ولم ولا ولن نفترق بعد ذلك أبدا .

وجدتني صحبة أخي الأكبر الأديب مبروك صالح المناعي، أنظر إليه في إعجاب، أنصت إلى حديثه الممتع، وأكتشف أني في حضرة نهر يتلألأ نوره، ملتصقا بالنّاس بهموم النّاس، بأوجاعهم، بأفراحهم، بكلّ تفاصيل الحياة، وجدتني في حضرة سيرة ذاتية لشعب مؤمن بالحياة في أسمى معانيها، في حضرة سيرة ذاتية لأديب مؤمن بالله وبالإنسان ومؤمن خاصّة بالحبّ. إنّه الأديب مبروك صالح المنّاعي، هذا العاشق القادم من الرّيف، من منطقة قعفور ولاية سليانة . هذا الوجه النّاصع الطّالع من " البيّاضة"، الواقعة ما بين الأخوات والأقصاب ما بين قعفور و مدينـــة سليانة. وأصبح الموقع يسمى : الصنداج.

ولد الأديب مبروك صالح المناعي يوم 8 مارس 1942 بقعفور، بمنشير

"دجمة" اشتغل مصمّما في الميكانيك، مهندسا في البناء، وخطّاطا.

عمل بالشركة الوطنية للسّكك الحديدية التونسية في المصلحة التقنية من رسّام إلى مصمّم وهو مهندس في البناء ، تقاعد مبكرا عن سن 50 سنة فنشط في الثقافة.

انخرط مبروك صالح المناعي باتّحاد الكتّاب التونسيين منذ بداية التسعينات، ساهم في تأسيس فرع الإتحاد بولاية بن عروس.

الأديب مبروك صالح المناعي عضو بنادي القصّة بالوردية.

يكتب القصّة والأقصوصة والخاطرة واللّوحة والمشهد والشّعر والشّعر الغنائي، ويكتب المقالة الأدبية، والتغطية الصّحفية، ويكتب التناولات النقدية.

نشر الأديب مبروك صالح المناعي كتاباته على صفحات أغلب الصحف إن لم نقل كلّ الجرائد والدوريات التونسية.

مرّت خمس سنوات ومازلت أجالس هذا المفرد في صيغة الجمع، وجدتني خلالها مشدودا إليه في الحلم وفي اليقظة، صدرت للأديب مبروك صالح المناعي سنة 1995 عن دار سحر للنّشر مجموعة قصصية أولى تحمل عنوان دقائق تضمّ ثماني عشرة قصّة موزّعة على مائة وسبع صفحات.

وتمرّ ثمان سنوات، ويواصل أخي الأكبر صالح المناعي سرده لسيرته الذاتية، وأجدني أقرأ سيرة ريفيّ ملتصق بالأرض، متألق كالسّنبلة.

صدرت له سنة 2003 عن **دار الإتحاف للنّشر بسليانة** مجموعة

قصصيّة ثانية تحمل عنوان **سنابل** تضمّ هذه المجموعة قصصا قصيرة وأقصوصات وخواطر ولوحات ومناجيات ومشاهد وبعضا من الشّعر أو هكذا وصفها مبدعها في مقدّمة الكتاب حيث جمع ثلاثة وثلاثون عملا موزّعة على مائة وخمس صفحات.

يواصل أخي مبروك سرده، ويزداد تعلّقي به وبهذه الأشعّة الطّالعة من النّهر حتّى مطلع الحلم، وتصدر له سنة 2006 عن **دار الإتحاف للنّشر** بسليانة مجموعة قصصيّة ثالثة تحمل عنوان أشعّة النّهر تضمّ ثمانية عشر نصّا على مائة وخمسين صفحة، أهدى الأديب مبروك المنّاعي هذا العمل إلى روح معلّمه المربي الفاضل الزيتوني المرحوم الهادي بورقيبة.

يتضمّن كتاب أشعة النّهر قصّة قصيرة تحمل نفس عنوان الكتاب يسرد من خلالها لقاءه جمعه بالمرحوم سي الهادي بورقيبة بعد سنوات من الغياب، لغة هذه القصّة شعريّة تبرز اعتزازه وتقديره وتبجيله لهذا المعلّم الجليل، الذي كاد مثل كلّ معلّم أن يكون رسولا. فلنقرأ هذه السّطور من قصّة **أشعّة النّهر** :

... برز في مقدّمتهم وجه عزيز عليّ، أشعّ نوره فبعث البهجة في كياني،....

.... وعدت إلى تلك الأيّام فبدا لي شابّا يتمشّى على المسطبة، يضيء الظّلام ويبثّ النّور في الصّدور، أو يتنقل بين المقاعد يتعهّد البراعم فينثر الكلمات الطيّبة ويبثّ مكارم الأخلاق... قصّة أشعّة النّهر صفحة 3.

سعيد بأني صحبة أخي الأكبر الأديب مبروك صالح المناعي أنظر إليه في إعجاب، أنصت إلى حديثه المتدفّق، وأكتشف دائما في حضرته ما يجعلني أزداد إيمانا بقدرته على التّواصل والالتقاء، أجده يتدفّق حبّا وسلاما للنّاس، وها أني أجده في هذه القصّة القصيرة الجميلة في رأيي ينصت إلى معلّمه :

.... تواصل حديثه الممتع وأنا أصغي إليه في إعجاب ونشوة وأتأمّل وجهه في محبّة وتقدير، فتراءى لي نهرا يتهادى في اطمئنان وظهرت لي الشّمس ترسل أشعّتها على صفحاته فإذا بالموجات تراقص فتعكس تلك الأشعّة ثمّ توزّعها في الأرجاء أنوارا تتلألأ لمّاعة . كذلك عهدته النّهر الذي منحني من أشعّته أنوارا اهتديت بها...

ARCHIVE

قصّة أشعّة النّهر صفحة 7.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

أتابع النّظر إليه في حبّ وإعجاب، أتعلّق بحديثه الملتصق بالواقع، باليومي، بمعاناة النّاس الدّائمة فلا تزييف ولا تزيين للواقع في أحاديث مبروك صالح المناعي.

إنه يكتب الواقع في لغة شعريّة شفّافة :

... ستار النافذة يستقبل ليكشف عن أغصان وردة تعانق الفضاء بلا أزهار في انتظار موفى الشّهر ...

مسألة بسيطة بعض المليمات و"الحمّاص" قريب، وهذه القهوة السّخنة تستحقّ سيقارة طويلة...

خاطرة بعنوان : في غياب النقود/ في مجموعة سنابل ص 8

تتابع أحاديث أخي مبروك المتعة والموجعة لالتصاقها بواقع موجع، تبكيني أحيانا وتسعدني وتضحكني أحيانا أخرى، هكذا هو الواقع مزيج عجيب بين الأحزان والأفراح، هكذا هو مبروك المنّاعي، أنصتوا إليه :

.... خرجت البنيّة من مدرستها عند المساء متثاقلة الخطوات تحمل معاناة والدها التي تركتها من الظّهر بلا نفقة لغياب والدها المتنقل في الشغل وسلكت طريق العودة إلى منزلها بقلب كبير في جسم صغير مشتاقة للأب، متحسّرة على الأم، تسير في ماض ثقيل، تخوض في حاضر متقلّب الأطوار، وتتطلّع إلى مستقبل عديد الاتجاهات، متشعّب الثّنايا، لا تحسّ بثقل المحفظة، ولا ترى الطّريق، خاوية البطن، ولا تشعر بالجوع....

قصة تحمل عنوان بذرة الخير في مجموعة سنابل صفحة 49.

يستمرّ حديث مبروك المنّاعي الملتصق بواقع الناس، واقع الفقراء والمساكين، وأنا ههنا متعلّق به وبانتصاره للفقراء، والمساكين متعلّق به وبانتصاره للمرضى:

تمرّ الأيّام مرور السّاعات... لمن تحلو له وتزهو الحياة... تمرّ الحياة مرور النّسيم... على من يحيا حياة النّعيم... تبتسم الأيّام لكلّ إنسان... لمن يلقى في الدّنيا ظروف الحنان...

لكن ... تنوح الأيّام على المرء المريض... وعلى كلّ من بدا في الحضيض... تبكي الحياة على العائشين... بلا سند هم المساكين...

مشهد يحمل عنوان رجاء في مجموعة سنابل صفحة 51.

يتحدث عن والده المرحوم صالح المنّاعي، موزّع البريد الذي كان يتنقل عبر المسارب بالأماكن الوعرة بالغابات أو بين الهضاب والأودية على ظهر حماره المصري أو بالطّرق المعبّدة على متن درّاجته وهو يوزّع البريد في جولة يومية تبلغ 40 كلم...

.... وواصل الوالد نضاله على نفس الوتيرة في عهد الاستقلال دون أن يجني من ثمرة عمله شيئا بل جناه من لا يستحقّ، وكان شغله بلا تغطية اجتماعية فانسحب منه، وبات لا جراية له ولا منحة... وظلّ في آخر أيامه يلحّ على نقله ليرى الضّيعات الفلاحيّة التي كان يملكها المعمّرون كيف صارت بأيدي المواطنين الذين كانوا بها أجراء... وهو ينحدر نحو التّسعين كان يوصينا: بعد مماتي قفوا على قبري وأخبروني عن الرئيس الجديد وعن حال فلسطين، بيد أنّه عاش وشهد التّغيير... لكنّه توفي وفلسطين مازالت تعاني الاحتلال إلى اليوم...

هكذا يواصل أخي مبروك الحديث عن والده في هذه الأقصوصة التي تحمل عنوان : الموزّع... يودّع في مجموعة سنابل صفحة 82.

وفي لحظة صدق شعرت أنّي احبّ هذا الموزّع البريدي، أحسست بأنّه يحدّثني عن أبي. تتواصل رحلتي صحبة أخي الكبير جدّا، الشّامخ جدّا، الدّافق جدّا، نتألّم قليلا أو كثيرا لأنّ المشهد موجع، ونبتسم أكثر لنهزأ بالأحزان ومشكلات الواقع :

أنصتوا إليه :

مطلب محبّة

إلى السيّدة رئيسة جمعيّة المحبّة

شارع الوجدان

مدينة الأشواق

من التّائه الذّاهل 00 نهج الأتعاب 0000 حيّ المعاناة

الموضوع : مطلب محبّة

المصاحيب :

- نسخة من بطاقة التيه والذّهول
- شهادة يتم
- بيّنة في ثبوت الغربة
- وثيقة حول المستوى النفساني
- ظروف متنيرة قاسية

سيّدتي ،

يسعد شقاوتي ومعاناتي أن أتقدّم إليك انطلاقا من هيامي ومتاهتي باحترامي الفائق وتقديري الخالص مع أسمى تحيّاتي الخالصة راجيا من عطفك التدخّل لفائدتي لدى الأزهار والورود والرّياحين لانتشالي من متاهات الضّياع وظروف الغربة القاسية التي ما انفكّت تجثم على معنوياتي ومشاعري...

إلى أخي الأكبر الأديب مبروك صالح المناعي

وتجري بنا الحافلة،

يتدفّق بين المحطّات
نهر من الذّكريات،
يبثّ أشعّته في انشراح المدينة،
لم ننس،
في حضرة اللّحظة الشّاردة
أن نحاصر أحزاننا القاتلة،
وتجري بنا الحافلة،
ولم تغرق الشّمس في نظراتنا العاشقة،
نستبق الخطوات
إلى فسحة يتواصل إشراقها
في انطفاء الشّبابيك،
نستدرج الذّاكرة
نستدرج الفكرة المقمرة،
وينحصر الضّوء في فرحة الطّفل،
في الحلتم،
في كلماته الطّائرة،
ولم يطفئ اللّيل قافلتي الرّاحلة،
ولم يطفئ الغيم بسمتك الهائلة،
وتجري بنا الحافلة،
نتدفّق بين المحطّات،

ترفع رأسك،

أرفع رأسي،

لنقرأ مخطوطة الزّمن،

تتهامس أوراقنا في الشّفق،

وفي خطوة يعتريها ضياء فصيح،

وفي خطوة يعتليها سؤال ذبيح،

ونجتاز باب الحديقة

ترقص قدّامنا الشّجرات،

وترقص قدّامنا الزّهرات،

وترقص قدّامنا السّنبلة،

وتجوي بنا الحافلة،

نتدفّق بين المحطّات،

لم ننس فرحة الرّيف في أمسنا،

ولم ننس فرحة الرّيف في غدنا،

ولم ننس تلك الهديّة،

طائرة في تراب الحكايات،

تنسحب اللّحظات،

وينسحب العدم...

ونستبق الخطوات إلى موعد غائر في التّجاعيد،

تقترب الشّمس من أفق شاهق في خطانا،

وتجري بنا الحافلة،

نتدفّق بين المحطّات،

نستأذن الماء،

نستأذن الحلم في بوحنا،

تتهامس أطيافه في الصّمت،

في الكلمات،

وتحتفل النّظرات،

وتحتفل الشّجرات،

وتشتعل الخطوة القاحلة،

وتجري بنا الحافلة،

نتدفّق بين المحطّات

نستبق الخفقات إلى قرية ترتمي في شاسع الرّيف،

في الفرح،

في يقين الأناشيد،

أرفع رأسي،

وترفع رأسك ممتلا لطقوس البداوة،

ارفع رأسي،

وترفع رأسك ممتلا لاحتفال السّنابل،

لفرحها الهائلة،

وتجري بنا الحافلة،

تتدفّق بين المحطّات،

نرتجل الصّور،

والملامح تقترب وتبتعد،

كأنّ الضّياء يحرّرها من وقار الحكايات،

تجري بنا الحافلة،

نمرّ على جبل منصور،

نمرّ على جبل برقو،

نمرّ على جبل السّرج

منتميا للرّيف،

ممتلا لبداوته الحالمة،

ومرتفعا في البياض الفصيح،

وتجري بنا الحافلة،

نمرّ على جارة الوادي،

نمرّ على المدرسة،

نمرّ على القرية الذّاهلة،

يطالعنا النّهر،

يطلق أنواره،

يطالعنا الطّفل،

عيناه دامعتان على أفق الفرحة الكاملة.

وتجري بنا الحافلة.

عجائب ماء زمزم

بقلم: أحمد المرزوقي

زمزم هي عين توجد الآن في الحرم الشريف، و قد تفجرت لأول مرة ليسقي الله بها سيدنا إسماعيل. عين زمزم لم تنضب منذ مئات السنين ولا زال الحجاج إلى حد الآن بعد أن يفرغو من الطواف وصلاة ركعتين عند المقام، يشربو من زمزم.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام عن زمزم: خير ماء على وجه الأرض، ماء زمزم، فيه طعام الطعم، وشفاء السقم وقال صلى الله عليه وسلم: ماء زمزم لما شرب له، إن شربته تستشفي شفاك الله، وإن شربته لشبعك أشبعك الله.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

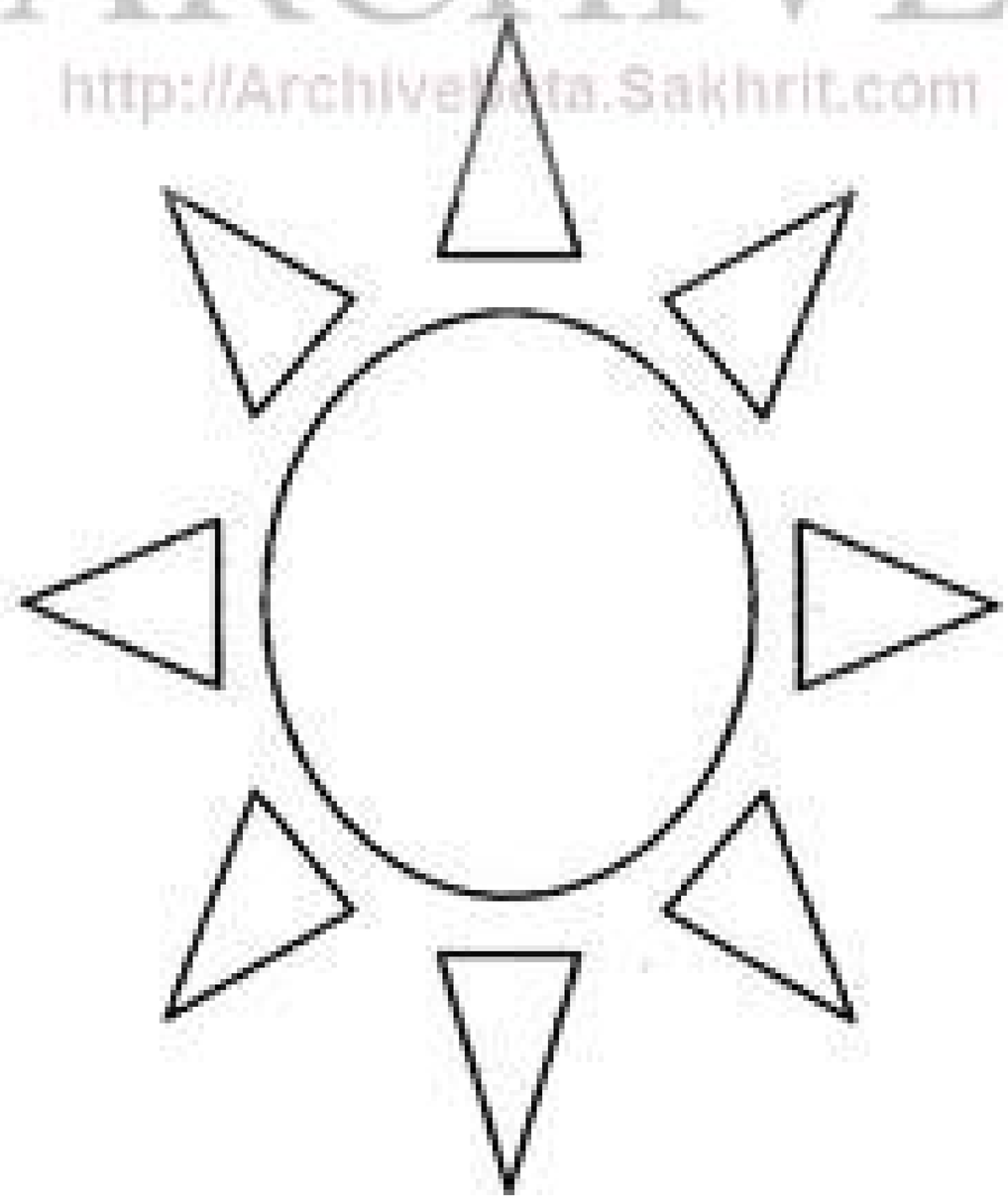
فما هي حقيقة هذا الماء؟

أثبت العلم الحديث أن ماء زمزم يختلف عن جميع أنواع المياه في العالم وأن فيه تركيبات ربانية خصه الله بها ولم يتوصل أحد إلى سرها رغم معرفة مكوناتها. وقد أكدت بعض الأبحاث أن ماء زمزم ينفرد بخصائص تميزه عن جميع أنواع المياه في العالم. من بين هذه الخصائص:

*أنه لا يتعفن ولا يتغير طعمه أو لونه أو رائحته، وأنه في هذا مثل عسل النحل، الذي لا يتأثر بتعرضه للجو، مختلفاً في ذلك عما يحدث لجميع أنواع المياه الأخرى، مثل مياه الأنهار والبحار والأمطار والمياه الجوفية، ويرجع ذلك إلى مكوناته الكيميائية، التي تمنع نشاط الجراثيم والبكتيريا والفطريات.

*بالإضافة إلى ذلك، فإن ماء زمزم، من أعظم المياه المعدنية المستخدمة في العلاج والاستشفاء على مستوى العالم! ومن الأمور العجيبة في ماء زمزم، أنه حلو الطعم، رغم زيادة أملاحه الكلية، فلا يشعر من يشربه بملوحته العالية، ولو أن نسبة الأملاح الموجودة في ماء زمزم، كانت في أي ماء آخر، لما استطاع أحد أن يشربه!

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com



خبر عن مالك الحزين

شعر : مختار المومني

ثابت مثل نخل الجريد

يكحل جرحه بالرماد

يمضي به العمر فوق الصقالات

يبعث في الحجارة روحا

فتورق بين يديه

وتعلو ديار

وتعلو قصور

يظللها أنس

وحبور

يا لهذا المكابر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحيدا يظل

على عتبات المدينة

يسكنه الريف

وطبع البداوة

روحه منذورة للنوى

ينمو الزمان بطيئا على راحتيه

يشدو مع الشمس راحلة في عيون الأحبة

ويحدو ناقة الله تسري إلى سدرة المنتهى

ويرعى نجمة شاردة

ويسقي وردة تنبع في الجنة الهامدة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شهـــوة

شعر : عبد المجيد اليوسفي

تحت هذا المدى شهوة

تسير على الأرض خوفا وتيها

همست أهيئ أحلامها

عساني من الرغب قبضا أتيها

ولكن دهتني نهار ركته

من الدف حتى تناثرت فيها

فأسلمت وجهي شطر اللمى

ويممت روحي وقلت : خذيها

وبتنا انتقضى ما قضاه الهوى

وجدت الشفاه التي أحتسيها

وكلمات فوضى بوت خاطري

وكم شهوة بتّ لا اشتهيها

هو الحُبُّ إذ يستبدُّ... !(1)

شعر: صالح الطرابلسي

الحافظةُ الحمراءُ
على الكفِّ،
وفستانك الأحمر
يهفو نحيَ!
قد تغدغ الحسن في،
مسقرَّ ثورة الشعر،
فتجرت ينابيعُ تروي
ظمأ الأوراق العذراء،
وتفتح في قلبيَ
عشق، في لون دمي.
أستشعرُ الآن في عطرهِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيطهرني!...

✠ ✠ ✠

فستائكِ الأحمر

يا خمرة العينين يُغرقني

بالرحيل عبر مجهول الثنايا،

أبحث فيكِ عن نفسي.

يقطع حر في سلاسل قيده

ويمضي في أفقك الرحب

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

يبني له وكرا

من لهيب الشمس

خط المسارب لفجر مفعم

بفيض الاشتهاء.

✠ ✠ ✠

عندما كنا صغارا

عُمرَنا...

كنا دفقا من ضياء الفجر

في ابتسامات الزهور...

كنا فرا سلسبيلا

يلج

كل البراري لا تلوذ الشعاب!...

كنا نعازيلاً

من نشوة الحُب في أغاريد

الطيور!

عندما كنا صغارا!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنا نرافق النحل في ترحاله

فنمتلك حِرفة السعي

أو نطارد فراش الزغب

في تجواله،

فنقتنص من قوس ألوانه

فيضَ الربيع الشجي!

كنا نجالس التين والزيتون

في وارف ظلّه،

فيغتلّ الغضب فينا

قطافا من عناقيد العطاء.

السخيّ!

وكنا...

نعانق النخل في هام ذراه

كي يعلمنا بأس الشموخ

الأبيّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

✠ ✠ ✠

قد كبرنا يا حبيبتي

وما اكتمل الزمان بنا!

انظري!...

كبر همنا!

تعب هو الياسمين الذي

كم قد سقيناه من أحلامنا

عطرا شذيا !

لست أدري ما الذي

أرداه على

قلبي حزينا !

✠ ✠ ✠

أنصتي يا ابنة الأرض:

أغنياتنا .

كم كانت حماسية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاخبة !

كم كانت راعدة

عاصفة !

كم كانت ماطرة

ماطرة !

أمطرت ذات هبوب:

عودنا قد تكسّر،

أُتلفت زنابقنا وسنابل

البيدر!

✠ ✠ ✠

أيّاك

أيّامنا...

يا حبيبتي دول،

تأتينا سجالا:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعضها سلبنا،

والبعض حزننا

فبكينا!

فلا تحزني يا ابنة الحقل!

هكذا هي الدنيا

لها حكمة

بأقدارها!

فاجئنا فصحينا !

✠ ✠ ✠

أعود إليكِ

من حيث ابتدأنا الطريقَ !

كطفلي، أعودُ إليكِ

حين ابتسامِ الشمسِ في

وجهِ الأفقْ !

إليك أعودُ

ARCHIVE

كابتسامة الصبح الوليد

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاحمرار الشفقْ !

فاحضنيني يا رفيقة الدرب

حتى اخضرار الشجرْ !

ثم ضميني إليك،

وانشلي عمري المحزونَ

من ليل الضجرْ !

✠ ✠ ✠

أعود إليك، كما كنت طفلا

صغيرا، ولكني أحمل حكمة

نجم هذه الدنيا !

قيثارتي بالنلاحين

جبلي،، أعود إليكِ

إليكِ أعود، كحمل وديع...

يبحث عن الحب في حضنك الدافئ

وعن دفق الزنبق !

كعصفور حن إلى الوكرِ

بعد طول الفراقِ !

أعودُ إليكِ، أغني، أغني

إليك، فهل تعشقين الغناء ؟ !

تعالَي إذن، تعالَي معا

نُعبّدُ إسفلت هذي الطريق،

ولنواصل السير حيثما،

خوتيرات الشهب

بالبرج العريق!

✠ ✠ ✠

أحبك... بي غمر... ومرغمر...

ومرغمر...

أحبكِ...

حتى استعادة البحر

للمد، وحتى جفاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفقاقيع

في الزبد!

أحبكِ...

حتى انهيار الموت فينا،

وحتى...

انبعاث الجلنار

في الرفض.

موعد في الضفة الأخرى ...

شعر: الذهبي بلقاسم

أين نحن هذا المساء

يا حبيبتي

كل الروض

يستقبلنا على عادته

هنا مكثنا

وهناك تعانقنا

وكل الأيام التي التقينا

حافلة بوعودنا

اعترفي أنك وقعت في حبي

حتى أشعر بوجودي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويشتط غروري

اعترفي كي تتوقف الكواكب

عن حركتها الدورية

وأحس حقا

أني عاشق

ما كنت أحلم في أعماقي الهشة

بامرأة تفوقك جمالا وذكاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضائع أنا يا سيدتي

في ضيق المكان

كل شيء حوالي مزدحم

فدعيني أتفوق على خوفي

بحنانك علي

أحنيني بشراهة مفتوحة

حتى أتباهى بأشعاري

ولأفخر بضياعي فيك

الآن فقط...

فهمت لماذا انهارت

حضارات على أهدابك ؟

أنا لا أأسف على شيء مضى

ما دمت معي

ARCHIVE

ويحق لي الآن أن أذهب إلى الموت

برغبة المستشهد

فلا تنسي موعدنا هناك

فوق تلة الوادي

في الضفة الأخرى.

زهـــرة الصـــبّار

قصّة: نعيمة الوسلاتي

جلست مريم على سريرها المتواضع في غرفة ضيّقة لكنها نظيفة مرتّبة يخيّم عليها الهدوء والسكينة وانحنت تداعب طفلا رضيعا لا يزال في مهده. زهرة غضّة ذات عود طريّ ووجه جميل. ملاك صغير تنظر إليه فلا تملك إلا أن تنحني أمام ذلك الطّهر والنّقاء والجمال حيث ترى وجه الله الكريم مشرقا متلألئا وتدرك حسن خلقه وإبداعه جلّ جلاله.

تسلّلت أشعّة الصّباح الدّافئة من نافذة صغيرة تطلّ على فناء دار واسعة يسكنها حيران طيّبون. كانت تلك الغرفة الضيّقة موحشة لكنّها أصبحت عامرة بوجود هذا الملاك الجميل. شعاع من النّور أضاء حياة مريم ومسح دموعها وعوّضها عن سندها ومعيلها الذي رحل عن الدنيا دون أن يراه. لم يترك لها من كنوز الدنيا غير هذا الصبيّ الأغر فاستبشرت بقدومه وتفرّغت إليه وغمرته برعايتها وأفاضت عليه من دفق حبّها وحنانها. استفاق من نومه في دعة وطمأنينة. أدار وجهه ناحيتها وافترّ ثغره عن ابتسامة رقيقة شديدة السحر والعذوبة فأقبلت عليه تقبّله وتضمّه إلى صدرها في شوق عظيم ولهفة كبيرة. تمرّ بيديها على شعره الناعم وتداعب وجهه الصّبوح. تلاغيه وتغنّي له بصوت حنون عن

النّجمة السابحة، عن الغيمة الراحلة، عن الطّير الشّادي والنّور الهادي، عن خرير الوادي وأنين السّواقي، عن تلك المروج السّاحرة والحقول الفاتنة بأشجارها الوارفة وأعشابها النّاضرة التي لعبت فيها طفلة ودرجت فيها صبية يافعة. رعت الغنم مع أترابها وخدمت الأرض تحت لفح الهجير صيفا وتحت الأنواء والعواصف شتاء. تلك البراري المتوّجة بشجر الزّان والصنوبر والزيتون أنست بخطواتها. ففيها دأبت على الاحتطاب وجلب الماء من العين وخطّت مسالك تشهد على غدوّها ورواحها. كانت تتقاسم تلك الأعمال الشاقّة مع ابن عمّها سالم فكانت تشعر بنشوة وسعادة رغم التّعب وضيق الحال. وعندما تزوّجت نزحت معه إلى العاصمة ليعمل أجيرا في حظائر البناء. وبعد عناء كبير تمكّنا من استئجار تلك الغرفة الضيّقة مع أولئك الجيران الطيّبين.

كان زوجها رجلا كادحا، مسؤولا، مخلصا، يعمل طول النّهار ثم يضع بين كفّيها ثمرة أتعابه وغلّة اجتهاده. يملأ حياتها أنسا وبهجة ويسكب في قلبها سرائر محبّته ويشتري سعادتهما بمجاهدة الأيام وسهر اللّيالي.

وافاه الأجل المحتوم ورحل عنها قبل أن تضع ثمرة حبهما بين يديه الكريمتين. رحل عنها ولكنّه ترك بعض ذاته بين أحشائها. ترك فلذة من أفلاذ كبده أمانة ستكرّس من أجلها مستقبل أيامها إلى

آخر نفس من عمرها. أمّا ذلك الحب الكبير الذي جمع بينهما سيبقى ملتصقا بقلبها متموّجا مع أحاسيسها ومشاعرها.

أدمعت عيناها السّوداوان وتكدّرت واغتمّت وانهالت الدموع على خدّيها الملتهبين شوقا وحنينا إلى ذلك الماضي الجميل. ذكريات تثير في القلب المعذّب نارا لا يخمد سعيرها ولا يخبو أوارها.

من كان يظنّ أنه سيفارقها في تلك السن المبكّرة دون أن يحقق لهذا الصبي اليتيم كل ما حلم به وتمنّاه؟ لكنها كانت تؤمن بأن لكل أجل كتابا. فرضيت بنصيبها واستكانت لقدرها وخضعت لمشيئة الله وهي تعيش اليوم هادئة مطمئنة في بيتها. ترى السعادة كل السعادة قرب ولدها تعطف عليه وترعاه أو حذو جارتها العجوز تبثّها ذات نفسها وسريرة قلبها.

تعود إليه، تغمره بالدّفء، تحضنه، ترضعه من لبنها فيرتوي من فيض حنانها وكرمها. وتهدهده فينام ويشبع نوما. لكنها تظل متمدّدة حذوه ترنو إليه بعينين حالمتين... مجيئه إلى الدّنيا سعد ووعد وأمل عظيم ورحمة من الله عزّ وجلّ عوّضها عن فقدان ذلك الحبيب. فالله يأخذ ولكنه يعطي في كرم وسخاء. صلّت إليه شاكرة فضله وعاهدته على حفظ الأمانة ورعايتها. طالبة منه أن يمدّها بالعون ويحمّلها بالصبر ويزوّدها بالعزيمة.

كبتت رغباتها وألجمت شهواتها وشمّرت على ساعديها واندفعت تسعى في عزم وهمّة ونشاط لتفوز بالزر القليل كي تسدّ رمقها وتردّ غائلة الجوع عن فلذة كبدها وتنقذه من براثن الاحتياج. فهي لا تريد أن تراه مريضا أو جائعا. لا تريد أن تراه أقل شأن من أترابه . عزمت على العمل جاهدة من أجل أن ينمو ويكبر ويدرس ويصير من أبناء المدارس. قرّرت أن تنتصر على الخصاصة والحرمان وتتغلّب على جميع العراقيل التي ستنتصب أمامها وستحجب عنها ذلك الأفق الجميل وتلك الأشعة النّورانية التي تهلّ عليها من وراء الغيوم الداكنة لتذيب عن قلبها كتل الجليد المتراكمة.

راحت تعمل آناء الليل وأطراف النهار. تلتحق في الصباح بصفوف العاملين في معمل الحليب ومشتقاته وتتردّد في المساء على نساء الحيّ لتعمل في بيوتهنّ في غير ملل أو فتور.

ختمت على أحزانها وتسلّحت بالصبّر والإيمان واتّخذت من عملها عزاء و سلوى. أقبلت عليه في صبر وشجاعة وسكبت فيه عصارة جهدها فأتقنته ونالت إعجاب النسوة وكسبت ثقتهنّ فتهافتن عليها يطلبن معونتها في إعداد المؤونة وغسل الأغطية الصوفية وترتيب الأثاث وتنظيف البيوت ويغدقن عليها العطاء في كثير من السّخاء والكرم.

وفي أيام الصيف القائضة تنهمك في إعداد "العولة" لأهالي الأحياء المجاورة. تنخل أكياسا كثيرة من الدقيق ثم تجلس على حصير خشن خلف قصعة كبيرة من النحاس تملؤها إلى النّصف بالدّقيق الناعم المنخول. ترشه رشّا طفيفا متتاليا بماء يذاب فيه شيء من الملح. ثم تمرّ عليه بيديها بحركة سريعة حتى لا تلتصق حباته وهي متحدثة ضاحكة مردّدة لأغان فلكلورية تطرب لها الأذن وينشرح لها الصدر لتستلهم منها القوة والعزيمة والنشاط.

مريم امرأة متواضعة الجمال لكنها كريمة الأصل، زكية النفس، حلوة الرّوح، موفورة الصحة والعافية. تُقبل على الدنيا بإيمان وتفاؤل وتتسلّح بكثير من الصّبر والتجلّد. وهي مع ذلك صاحبة دعابة. تميل إلى المزاح والهزل وسرد النوادر في كثير من البشاشة والمرح. تنتشي بتلك الأغاني فتداعب كلماتها الجميلة وألحانها الشجية ذكريات الصبا والشّباب، أيام كانت تواعد ابن عمّها على ضفاف الوادي في قريتها الجاثمة على جبهة جبال حمير حيث الخضرة والعيون الجارية. يواعدها فتقبل نحوه كغزال رشيق شرد عن سربه. يتراءى لها الفضاء متّشحا بالسّحر والجمال. فترتع بأقدام مجنّحة.

تقترب منه فتسبقها إليه جوارحها. تمدّ إليه يديها فيمسك بأناملها ويشد عليها في مداعبة رقيقة فيمطر قلبها أشواقا لذيذة

وتهيج لواعج نفسها وتنعتق أحلامها لتتراقص بين يديه في فرحة وجذل وتحملهما إلى مراتع السعادة بين خفق القلب وارتعاشة الروح ونبض الحياة الجميلة. تحمل إليها أناملة المداعبة أمواجا طافحة من البهجة والمسرة، أسلاكا مكهربة فتنتفض روحها كجناحي فراشة هزّها النور، لامستها أشعة دافئة، أبهرتها ألوان الزهر، أسكرتها قطرات العطر، ضمّختها كؤوس الشهد المتدفقة من شفاهها الوردية... حاسة عذبة ترتعش بين تلافيف مهجتها. أشعة باهرة تترقرق من ناظريه. تملأ نفسها غنى وتغمرها بالرضا والسعادة فتبدو لها الدنيا نعيما والوجود جميلا. عاطفة رقيقة نسجت نقابا من الفرح والأمل حول قلبها الولهان. "لأن المرأة لا تشعر بكيانها ولا تستمتع بجمالها في غياب نظرة إعجاب رجل وأنّه وجد وخفق قلب بين أضلع".

هبّت إليها تلك المشاعر الجميلة على أجنحة الذكرى وحملت إليها أنسام الربيع العليلة فهاج حنينها واضطرمت أحشاؤها وانهمرت عبراتها بسخاء فمسحتها في يأس ومرارة بكمّ جلبابها الأسود الذي لم تستبدله بغيره من الفساتين الملوّنة منذ فارقها زوجها فأصبح شاهدا على أحزانها. وانكبّت على القصعة الطافحة بحبّات "الكسكسي" الرقيقة تمرّر عليها يديها الخشنتين في حركة سريعة وحماس عجيب.

عمل شاق، عمل الكاهل والسواعد،عمل الكادحين الذين يسعون بكدّ يمينهم وعرق جبينهم لكسب الرزق الحلال فمريم من تلك الطبقة الضعيفة الدخل التي ترزح تحت نير العبودية. عبودية الرغيف وضنك المعيشة. هذه الطبقة المستغلة المستضعفة التي إن أصابها وهن أو عجز ماتت كمدا وقهرا.

لذلك تعمل مريم في حزم وعزم لتثبت كيانها وتصمد أمام تعديات الدهر وإهانات الناس وذلّ السؤال ومهانة التسوّل. تتغافل عن الدّاء إذا ألمّ بها وعن الغمّ والهمّ إذا ساورها في مكابرة ونزال لكسب مزيد من المال. تعمل بإصرار لتحفظ كرامة ابنها وقرّة عينها وتجعل منه علما على رؤوس الملأ فيظلل عليها يوم تشتدّ الهاجرة ويسند ظهرها يوم تدلهمّ أمامها السبل. فهو القطرة التي ستسكبها غمائم الصباح النديّ بين شفتيها فتشرق روحها وتنتشي أعضاؤها ويتجدد شبابها.

سيكبر وسيشتدّ عوده وكابن بارّ سيسكب من إكسير شبابه على شيخوختها وسيصل أيامه النابضة الزاخرة بأيامها الفانية فيخضرّ عودها وينبت زهرا وطيبا وريحانا. فالمرأة لا تتحمّل مشقّة الخلفة إلاّ لتضيف لعمرها الفاني الواهن عمرا آخر تشرق فيه الشمس ثانية ويشتد فيه الوتر. وتر حيّ نابض بالأمل والفرح.

واصلت مريم عملها ساكنة صامتة لا تكشف عن خفايا صدرها إلا مرارة التنهيد وبعض النظرات الحالمة السابحة في عالم تتموّج فيه الرؤى والخيالات البعيدة.

يكبر سعد وتكبر معه الرّعونة والتمرّد والانحراف ومريم في غفلة من أمره. تنهض باكرا عند طلوع الفجر لتؤدي صلاتها وتعدّ طعام الغداء لأبنها وتركب الحافلة لتلتحق ببيت مخدوميها بعد أن استغنى المعمل عن خدماتها. تسأل الله في حلّها وترحالها العون والصحّة وصلاح الحال. يد عاملة وقلب خاشع ونفس راضية.

يكبر ذلك الابن الضال وبدل أن يعترف بجميلها وفضلها عليه يصبّ نقمته عليها ويشقّ عصى الطاعة في وجهها وينظمّ إلى شرذمة من أطفال الشوارع والمتسكعين فيتقارعون بالحجارة ويعتدون على الأهالي الآمنة...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصيبها الوهن والضّعف، فتقعد في دارها كسيرة النفس وحيدة مستوحشة. تنادي عماد بيتها ووليّ أمرها وكافل عجزها فلا يجيب نداءها. تبحث عنه بعينيها الذاهلتين فلا تجد له أثرا.تتكدّر نفسها وتكتنفها هالة من الضياع والتشرد... شعرت وكأن ذلك البيت الذي حرصت على جعله مفتوحا أبدا عامرا بالحب والحنان والتضحية قد انهارت أسسه وتقوّضت دعائمه فأطبقت على صدرها وألقتها بين أكفّ الظلمة والموت. عمّها الضّياع وارتاعت وتاهت نظراتها، أرادت أن تناديه ثانية لكن لسانها انعقد وجمدت الكلمات على شفتيها

وتراجعت الأنات والحسرات وانحبست في صدرها. هي المرأة الحرّة الشريفة الكادحة تجد في قعودها وعجزها مهانة ومذلة تستنكرها نفسها الأبيّة فتشعر بالقهر وتركن إلى اليأس والوحدة لتواري دموعها وتكتم احتياجها...!

تلاشت أطياف الأمل وتبدّدت أحلام شفّافة كانت ترفرف على روحها وتشحنها بالحياة والثبات والدّوام. شحب وجهها واكفهرّ وخطّته التجاعيد وكتبت عليه العلّة سطورا عميقة. غرقت عيناها تحت حاجبيها واكتنفتهما هالة سوداء. تحول فيهما أشباح السّقم ووهن الشيخوخة. وارتسمت على شفتيها خيال ابتسامة حزينة خرساء. أين ذلك الجسم الممتلئ؟... قد نحل وتتأت عظامه وبرزت عروقه.

يؤوب ذلك الجاحد في أواخر الليل. يجرّ قدميه جرّا. يترنح بمنة ويسرة ويرتمي في فراشه في إعياء دون أن يسأل عنها أو يتفقد أحوالها.

وفي الغد ينهض متأفّفا، متبرّما، متكاسلا، مضطرب النفس، شارد الذهن. ماذا سيفعل؟ كيف يمكن أن يتخلّص من هذا العبء الثقيل؟ يوقظها من نومها مدّعيا أخذها إلى الطبيب. فتلمّ شتات نفسها وهي تتضوّر جوعا وألما. تستند إلى ذراعه وتتّكل على الله. ثم تنظر إليه في شكّ وريبة. يُدخلها إلى فناء دار المسنّين ويتسلّل في غفلة منها ويتوه في الزّحام... انتابها الإعياء من فرط الانتظار فانزوت في ركن واتخذت من الحائط مستندا لها ثم غالبها النّعاس فغفت... وبعد برهة من الزّمن اقتربت منها المشرفة على الدار وأيقظتها في دهشة واستغراب فتحركت

مضطربة كمن أفاق من حلم مخيف. استفاقت من غفوتها وشخصت إليها بنظرات ضعيفة جامدة كأنها لا تعي وجودها في ذلك المكان الغريب عنها. لقد سقطت في هوّة سحيقة من الضياع والنسيان فصلت بين مسيرة طويلة اتّسمت بالنضال والأمل والترقّب وحياة العدم والموت البطيء بين أشباح سابحة في عالم الضّعف والعجز.

تاهت أم سعد وتلاشت ذاكرتها في مدار الزمن وهوت إلى عالم ضبابيّ بين الحياة والموت. لكنّ عين الله لا تنام عن المحزونين واليتامى والمنكوبين... أشفقت المشرفة على أم سعد فنادت مساعدتها وحملاها إلى الداخل وبعد كشف دقيق أسرّ إليها الطبيب المكلّف بعلاج المسنّين بتدهور صحّتها وإصابتها بتوتّر عصبيّ عنيف. وُضعت أم سعد تحت مراقبة دقيقة وعناية فائقة وسُجّلت تحت اسم مستعار على أمل أن تستردّ صحتها وعافيتها.

عجز قلب أمّ سعد عن تحمّل هذا المصير القاسي وعجز عقلها عن تقبّل هذا الحكم الجائر. لكنّ روحها لن يعتريها الموت لأن أمّ سعد كيان رائع ووشم على صدر الذاكرة. صوته يروي نضالها وصبرها وإيمانها وظلاله تفصح عن ملامحها الأصيلة الزكيّة. تضحيتها حقيقة ثابتة وبصمة راسخة لن يمحوها الكنود ولن يواريها الجحود...

أحمد القتيل

بقلم : محمد بن علي

1- فراقك لا دواء له :

يا أحمد، يا سيدي، كيف تنام هذا الصباح في غرفة بالمستشفى بدون حراك ؟ وكيف لا ترد على من أحاط بك باكيا حزينا متألما ؟ ها نحن ندخل في عتمات الشتاء القارس... وأنت قد تعودت ان تواجه المرض بشجاعة ولو كان ذلك في فصل الشتاء... فهل انت الآن حقا مريض ؟ وهل أنت محتاج إلى دواء يضمد الجراح ويحرك العظام المهشمة ؟

تركت الناس الذين سمعوا بخبرك مندهشين منكبين حولك ليرونك جامدا بلا حركة مغمض العينين ... لم أستطع أن ارفع عنك الغطاء لأراك... وكيف أراك والروح مازالت ترفرف فوق المكان، وأنا أخجل منك ولا أستطيع أن أزيح الغطاء عن وجهك لأراك... وقلت في نفسي: لا بد من دواء لسيدي ...

خرجت متعثر الخطى، والدنيا يكسوها سواد الصباح، ولأول مرة كان الصباح مكسوا بالسواد والقلب يتقاطر منه السواد... والرماد يسد الآفاق... والعيون فارغة والغبار يملأ هذه الطرقات... وعندما دخلت الصيدلية طالبا دواء لك حتى تنهض وتحدثنا ... نظر إلى صديقي الصيدلي وهو الذي لا يعجزه أن يأتي بالدواء مهما كبر الداء... وقال حزينا :

- دواء سيدك لا يباع في الصيدليات ...

أين يباع إذن دواؤك يا سيدي ؟ وهل من سبيل إليه ؟ هل يصنع من قطرات الضوء ؟ أم من نشيج الباكين ؟ أم من هدير السحاب ؟ أم من ضوء البرق ؟ ... أم من أشعة الشمس ؟

ما الذي أفعله لك يا سيدي ؟ .. وكيف يمكن أن أجعلك تنهض ويكفكف الناس دموعهم ويسلمون على بعضهم ويضحكون ويتبادلون التحيات ؟ وأمام غرفة نومك العميق بالمستشفى هذا الصباح جلست، ومددت رجلي وبكيت ... ونظرت إليك وأنت مسجى عاجزا عن الحركة وقلت لك : لم لم تفعل بنا كل هذا ؟ .. أعرف أنك لا تقدر على أن ترد وأنك تستعد للسفر إلى مدينة مجهولة العنوان والدليل... ولكن قبل السفر لابد أن تسلم علينا واحدا واحدا .. وربما تضمنا إلى صدرك قبل أن تأزف ساعة الرحيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحيلك الدامي

الناس الذين أتوا هذا اليوم إلى سوق القرية قد انصبوا حولك وأنت تغادر المستشفى ... وهذه الدنيا يعلوها الشحوب والغبار... والطريق إلى بيتنا الريفي مازال يعج بالحركة وأنت تعود إليه آخر مرة كسيحا تحطمت رجلاك وكسى الدم وجهك... من فعل بك هذا يا سيدي ؟

وقفت السيارة أمام مسكنك الريفي... وهرع الناس والأهل والتراب والأرض والافق والشمس يتلمسون يديك ووجهك ... أنت لم تعودهم بأن ترجع على هنا متمددا ساكن الحركة ولا تنطق بكلمة

وداع... وأنت كنت تسأل عنهم واحدا واحدا ... وترفع عينيك إلى السهل البعيد وسلسلة من الهضاب ترحل على امتداد ما ترى العين...

يا أحمد، يا سيدي، ها أنت ممدد في بيتك آخر مرة... والناس يحيطون بك ويتساءلون : كيف حدث لك هذا ؟ ألم اقل لك وأنت في أخريات هذا العمر: "هون عليك... ومد يديك إلى الراحة والسكينة حتى تقر عينك بفرحة الإياب من عناء السفر الطويل ..." ولكنك ذاهب أبدا... لا تنقضي عنك المشقة والعمل... فها هو إذن نومك الطويل قد أتى... ولن تتعب بعد الآن ...

هذا اليوم الأسود الظالم كيف أتى ... وكيف بدأ وكيف انتهى ؟ الريح الباردة تهب من أعالي التلال... والظلام يلف الكون والصباح يستعد للعودة من جديد... وأنت كنت بجانب الطريق... والسيارات في هذا اليوم تنهب الطريق، تسابق الريح، الريح آتية من بعيد.. تهب باردة... الريح ممزوجة بالظلام والبرد القارس... وأنت تبحث عن سيارة قادمة من بعيد... فهل التفت إلى السيارات القادمة من ورائك ؟ وهل رأيت أضواءها تخترق الليل؟ لم لم تفعل هذا ؟

أي صوت مروع سمعه الليل الراحل الآن... وأنت قد ارتفعت فجأة في الهواء مصدوما وسقطت على جانب الطريق وقد مرت على رجليك عجلات تلك السيارة المجنونة... تحطمت رجلاك وانكسر العنق... وعندما أركبوك في الصندوق الخلفي والسيارة تسابق الموت... كنت تمسك بيد البنت الصغيرة مبتسما قويا... أعرف أنك تهون الأمر مثلما

كنت تفعل دائما ولكن الألم كان أقوى من كل تحمل... أية مشاعر حالت في رأسك تلك اللحظات وأية آلام شعرت بها... وبما كنت تفكر ويدك ترتخي في صمت مريع وعيناك تنغلقان إلى الأبد ... وبدأ السفر الطويل ...

انهض من سباتك العميق

قبور أجدادي تنام في هذا القفر الواسع... والعراء يلف المكان... على سفح هذا التل ومنذ مئات السنين سكنت الحركة وهجع الكون... وأنت في هذا المساء الأسود تتمدد في قبرك السحيق وتسافر إلى الدنيا البعيدة... ويدخل جسدك في هذا الأرض، وينتزع بترابها... يا احمد ، يا سيدي، أهذا وقت الرحيل ؟ والأهل والأولاد الصغار مازالوا ينتظرون عودتك... مازالت الكائنات مشتاقة إليكن ومازالت الفصول المتعاقبة تمد إليك يدها... وأنت كيف تفعل بهم هذا ؟ ...

ولكنك الآن تنام في قبرك... وحيدا بلا حراك ولا تسأل عنا... لماذا لا تسأل عنا ؟ ... أنت الآن ترحل على آبائي وأجدادي الذين لا تعرفهم وستشد على أيديهم في لحظة لقاء... ولكنهم تركوا لك هذا الجسد... تسكنه هذه الدماء والروح والآلام... يرقد الآن جسدك بين طيات التراب... وتمد النباتات البرية جذورها إلى الأعماق... تغور في جسدك الذي أخذ الآن يتحلل ويذوب... تبحث فيه عن سماد ورماد وقصص أحبتي الذين ذهبوا و لم يعد منهم أحد ... اعرف أنك ستعود إلينا متسللا عبر جذور النباتات البرية... وتصعد من اعماق الأرض

دفقا صافيا ونشيجا حارا يلفح الوجوه... أنت ستنمو من جديد في النباتات البرية... وجسدك الذائب في طيات الثرى سيلون أوراق النباتات البرية زمن الربيع وتشرب أزهارها ما تبقى من لحمك وعظامك... وتزهو تحت أشعة الشمس وتمد رأسها إلى السماء...

يا أحمد ، يا سيدي، ألا تقوى على الآلام، ألا تتحامل على نفسك وتمز رأسك وتستفيق ؟ ألا تستطيع أن تنهض من جديد فأنت لا تحب النوم الطويل؟ هذه الشمس تشرق كل يوم ويستيقظ الكون بعد أن يغفو في هدأة الليل... والريح تجري تسوق جيش السحاب... والناس يدبون في مناكب الأرض يلتمسون منها الرزق ويغمسون الخبز بدمع العين... الحض... فلا وقت للسبات العميق، وأنت عندما تعود إلينا فأي بشرى... وأي سماوات تنفتح... وأي عوالم سيسكنها الفرح... ياما انتظرناك... وياما بكيناك... وياما افتقدناك وهزت أوصالنا رعشة اللقاء... ولكن الأبواب تفتح ولا نراك وربما نراك... فهل نراك ؟ ...

